دفاتر مركز الدراسات والأبحاث عزيز بلال

Cahiers du CERAB

أوراق من زمن الجائحة

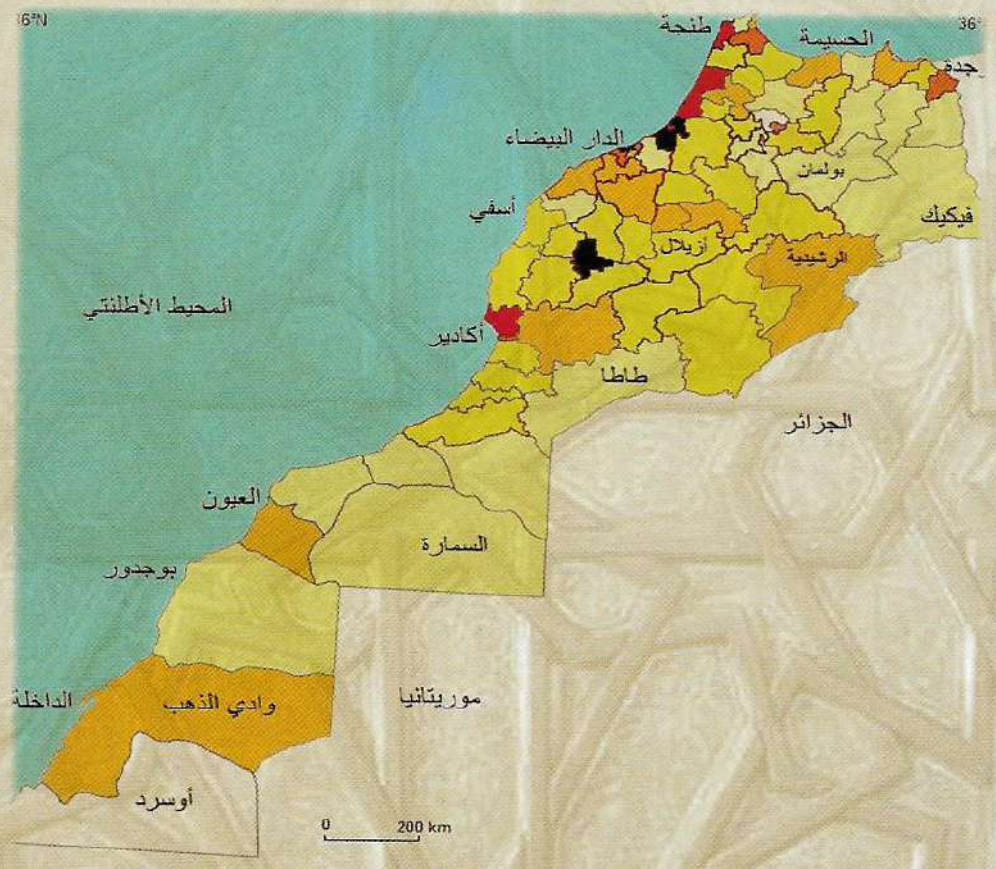

الخريطة 2 – توزيع حالات كوفيد-19 المسجلة بالمغرب ما بين يوليوز 2020 ومارس 2022 حسب الأقاليم

تنسيق : موسى كرزازي

مراجعة : شيگر محمد - أحمد أوبلة

دار النشر حنطلة
Éditions Handala

CERAB

دفاتر مركز الدراسات والأبحاث عزيز بلال
(CERAB)

أوراق من زمن الجائحة

تنسيق : كرزازي موسى

مراجعة : شيگر محمد - أحمد أوبلة

دار النشر حنظلة
Éditions Handala

CERAB

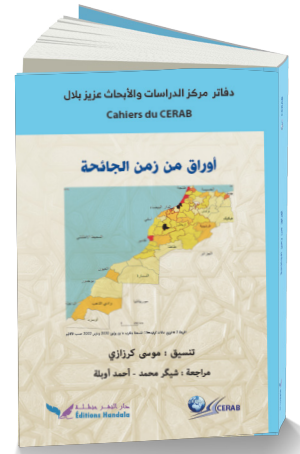

عنوان الكتاب : أوراق من زمن الجائحة (دفاتر مركز عزيز بلال)

تنسيق : موسى كرزازي

مقاس : 23x16 سم

عدد الصفحات : 152

الإيداع القانوني : 2022MO2877

ISBN : 978-9920-9976-3-8

سنة الطبع : شتنبر 2022

الناشر : مركز الدراسات والأبحاث عزيز بلال

دار النشر : حنظلة

الهاتف : 0537686355 أو 0661119676

البريد الالكتروني : mohammed.chiguer@gmail.com

الطباعة : مطبعة دار المناهل

الهاتف : Tél : 05 37 77 15 16

البريد الالكتروني : contact.idam@minculture. gov.ma

حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الدراسات والأبحاث عزيز بلال

فهرس

توطئة - «أوراق من زمن الجائحة» 5
موسى كرزازي

جائحة وباء الفيروس التاجي المستجد (كوفيد- 19) بالمغرب: دراسة جغرافية.....9
عبد العزيز باحو - خولة باحو

من يوميات الحجر الصحي : وظائف الجائحة 41
محمد شيكّر

ملحق المقال

مؤطر 1: ما بعد الجائحة..... **61**

مؤطر 2: من أجل دخل الكرامة **63**

مفهوم الأمن القومي الاستراتيجي في عالم متغير.....69
(انطلاقا من التجربة المغربية في مواجهة كوفيد19 وتداعيات الحرب الأكرانية)
موسى كرزازي

دور الخرائط الوبائية في إدارة الأزمة الصحية لجائحة كورونا 87
محمد أنفلوس - عبد المجيد هلال

معركة الخرائط وجهود المغرب للدفاع عن وحدته الترابية 99
موسى المالكي

الاستغلال الفلاحي بالشاوية بين محدودية الموارد واستراتيجية التكيف
حالة جماعة سيدي محمد بن رحال 113
بشرى حساني

واقع الساكنة «الصفيحية» بأحياء «إعادة الإسكان»: حالة الدار البيضاء 125
صديق عبد الوهاب

توطئة

« أوراق من زمن الجائحة»

يسعدنا أن نقدم للقراء الكرام والباحثات والباحثين كتاب «**أوراق من زمن الجائحة**» الذي ينشر في إطار مجموعة دفاتر مركز الدراسات والأبحاث عزيز بلال. يضم هذا الكتاب بين دفتيه مقالات راهنية ومتنوعة، تغطي الفترة الممتدة من 2020 - 2022؛ أربع منها ترصد ما تمخض عن الجائحة من أزمات صحية و اقتصادية واجتماعية، وما ترتب عنها من تداعيات سواء على المستوى العالمي أو المحلي. إضافة إلى استراتيجية مواجهة مثل هذه الأزمات حاضرا ومستقبلا. وتقدم المقالات الثلاث الأخيرة نتائج أبحاث ميدانية لباحثين جامعيين.

خلال الفترة 2020 - 2022 تعرض العالم إلى هزات خطيرة انعكست على البشرية جمعاء، كما لو كان الأمر يهم قرية صغيرة، **نتيجة الفيروس التاجي المعروف بكورنا كوفيد**(19). انتشر هذا الفيروس بشكل مرعب، فتحول إلى جائحة خطيرة؛ ومما زاد الطين بلة، هي قدرته على التطور، حيث عرف تحورات متعددة حملت عدة أسماء (بيطا، ألفا، أومكرون...). وتبين عجز بلدان وأمم الأرض، بما فيها المتقدمة، عن محاصرته و التصدي له. وقد أدى هذا العجز الى خلق الهلع والخوف من شده فتكه بالبشر، وسرعة انتشار العدوى وعدم القدرة على احتوائه.

وكان لهذه الجائحة تداعيات خطيرة اجتماعية وصحية ونفسية واقتصادية نتيجة الشلل الذي حصل في بلدان العالم على كل المستويات، من جراء إغلاق الحدود، وتشديد السلطات على حرية المرور والتنقل والاتصال بين البشر، خوفا من العدوى. واستمر الحال لمدة أشهر قبل أن تلوح بوادر اختراع لقاح يعطي نسبا هامة من المناعة. ولكن، المشكل الذي يظل مطروحا، هو أن المناعة المثلى لم تتحقق. ولذا وفي غياب حلول جذرية للقضاء على الفيروس بصفة نهائية، انطلقت نقاشات واحتدت، خاصة بين العلماء والأطباء والمختصين، بين متيقن من نجاعة اللقاحات ومتشكك في نتائجها، سواء بالداخل أو الخارج.

لقد بذلت عدة دول جهودا من أجل اختراع عقاقير للتخفيف من هول الجائحة، وعرضت لقاحات تم إنتاجها في عدة دول (الصين، أمريكا، أوربا...).ومع ذلك فقد حصدت ملايين الأشخاص، سواء في البلدان المتقدمة كالولايات المتحدة وأوربا (إيطاليا..البرتغال..)، أو البلدان

النامية كالهند. علما بأن القارة الإفريقية كانت أقل تضررا من هذه الجائحة.

أمام هذا الفيروس الفتاك الذي لا مثيل له في ما مضى من الزمن، ساهم عدد من المفكرين والباحثين المغاربة، ومنهم المنتمين إلى مركز الدراسات والأبحاث عزيز بلال، في النقاش الدائر حول سياق انتشار الفيروس وتداعياته على اقتصاديات العالم ومنها المغرب، وما يتطلبه الوضع حاضرا ومستقبلا لمواجهة مثل هذه الأوبئة والحالات الطارئة.

يتصدر الكتاب مقال مشترك قدمه الباحث عبدالعزيز باحو بمعية الطبيبة والباحثة خولة باحو، حول سياق انتشار هذا الوباء منذ ظهوره بمدينة يوهان الصينية نهاية 2019 ومراحل انتشاره وتوسعه وتحوره خلال الفترة 2022-2020، عبر مقاربة جغرافية. وقد ركز المقال على رصد دقيق لمظاهره الزمنية والمكانية؛ بالإضافة إلى تحليل بعض مؤشرات عملية التلقيح التي واكبته. وقد أظهر مضمون المقال، المزود بالأرقام المحينة والخرائط والمبيانات، مدى علاقة الجغرافيا بدراسة الأمراض والأوبئة، وتطور أسس المقاربة للظواهر الوبائية والصحية، من الجغرافيا الطبية إلى جغرافيا الصحة. وهو التخصص الذي تم إهماله من قبل الجغرافيين المغاربة، إذا استثنينا بعض الأبحاث العلمية الاستثنائية التي تبينت أهميتها مع الجائحة (أبحاث محمد أنفلوس، في جغرافية الصحة).

لقد كان ظهور الفيروس مفاجئا للعالم وللبشرية جمعاء، ولذا تطلب التمعن في نتائجه وفتكه وتمثلات الإنسان وتصوراته الميتافيزيقية والفلسفية، وفي الاختيارات التي يمكن الأخذ بها مستقبلا للتشبث بالحياة. في هذا الصدد عالج الباحث محمد شيكر في مقال مطول، عمق الأزمة التي اجتاحت العالم، مبرزا أهم وظائف الجائحة وفي مقدمتها وظيفة «التعرية» التي عرت على الواقع وعن المستور، فأسقطت الأقنعة، وكشفت عن الحقيقة المزرية للقطاع الصحي وعدم قدرته على احتواء الفيروس في البلدان النامية، ومنها المغرب ؛ بل لم يستطع حتى القطاع الصحي المتطور في البلدان المتقدمة مواجهة الأزمة الصحية الطارئة، والتي عليها استخراج الخلاصات. وذكر بأنه من الممكن الاستفادة من هذه المحنة، خاصة في البلدان النامية، وتحويلها إلى فرصة لتغيير الواقع، شريطة توفر نضج المجتمع والإرادة السياسية، مقترحا إحداث قطيعة مع الماضي. ويتقدم الباحث شيكر، كمساهمة منه في صياغة جواب موضوعي على السؤال المطروح حول كوفيد، بخلاصة يشير فيها في ختام مقاله، بأن القاسم المشترك بين تدبير الملفات الحساسة و إدارة الأزمات يكمن في إعمال مبدأ «ماحك جلدك مثل ظفرك»، أي بالإعتماد على النفس دون انتظار توصيات المؤسسات الدولية التي أضرت بالقطاعات الاجتماعية، ومنها قطاع الصحة والتعليم كما حدث في المغرب. وختم مقاله بمؤطرين ساهم بهما المؤلف في النقاش

الدائر حول ما بعد الجائحة وكذا دخل الكرامة.

ولاشك أن المحنة وإدارتها من قبل الدول وفي مقدمتها المغرب دفعت بالباحث موسى كرزازي إلى استخلاص الدروس من خلال معالجة حدثين هامين في الفترة (2020-2022) هما أزمة كوفيد، وتداعيات الحرب الروسية الأكرانية. ويتوقع الباحث حدوث مثل هذه الأزمات والمحن المفاجئة مستقبلا. ولذا يدعو صراحة إلى التحضير الجدي لمواجهتها، عبر تحقيق الأمن القومي الاستراتيجي الشامل للمغرب، الذي يتضمن توفير الأمن العسكري بارتباط مع توفير الأمن المائي والطاقي والغذائي، مع تعزيز للجبهة الداخلية التي من المفروض أن تلتف حول الإنسان، كعنصر حيوي، يعتمد عليه في مسلسل التنمية البشرية والمستدامة؛ مع حياد دولي إيجابي يضمن استقلال قرارت السيادية للمغرب.

وعلى مستوى الأمن الصحي تناول الباحث محمد أنفلوس بمعية الباحث عبدالمجيد هلال، موضوع الصحة بالمغرب، مستعرضا أهمية القطاع الصحي ودور الخرائط الوبائية في إدارة الأزمة الصحية لجائحة كورنا، مع بروز اتجاهات قوية في توظيف الخريطة الجغرافية الاجتماعية الجديدة للصحة والمرض، في رسم استراتيجية إصلاح أنظمة الرعاية الصحية. في هذا الصدد ركز الباحثان على أهمية تحسين المحددات الاجتماعية للصحة وطرق معالجتها التي تمليها الظرفية في جميع دول العالم، عن طريق إصلاحات انظمة الرعاية الصحية للتقليل من وقع الأزمة، وخاصة على الدول الفقيرة. وهذا ما يعزز الاهتمام بالمكون الاجتماعي في الرعاية الصحية للطب الوقائي وطب الكوارث.

وفي إطار تعزيز الدفاع عن سيادة البلد، ساهم الباحث موسى المالكي بمقال هام حول البعد الجيوسياسي المغربي على مستوى تثبيت الحدود الرسمية للبلاد، مركزا على موضوع «معركة ديبلوماسية الخرائط» التي أزعجت النظام الجزائري، خاصة بعد الاعترافات المتتالية الأمريكية والإسبانية والألمانية بمغربية الصحراء، ونشرت وزارات خارجية بلدانها خريطة المغرب الرسمية الكاملة من طنجة إلى لكويرة. وركز على أهمية اليقظة الخرائطية في الدفاع عن الوحدة الترابية وكسب التعاطف الدولي وتعزيز ملف ترسيم الحدود البحرية المغربية؛ فمعركة الخرائط تعزز جهود المغرب للدفاع عن وحدته الترابية.

وسعيا لمواكبة البحوث الجامعية في دفاتر مركز عزيز بلال وتقديمها للباحثات والباحثين والمهتمين، تم إدراج مقالين حول نتائج بحثين ميدانين جامعيين: المقال الأول من إنجاز الباحثة بشرى حساني حول إشكالية الفلاحة البورية بالشاوية العليا واستراتيجية تكيف صغار الفلاحين

مع ظروف قساوة المناخ وضيق الحيازات ومع أوضاعهم الصعبة، عبر تحديث وتنويع الإنتاج الفلاحي. والمقال الثاني للباحث صديق عبدالوهاب الذي يعالج فيه إشكالية حديثة مرتبطة ب«إعادة إسكان سكان الصفيح بمدينة الرحمة» في أحواز الدارالبيضاء ومعاناتهم. ولتنوير المهتمين وأصحاب القرار، يطرح الباحث خطة لرفع التحديات، بغرض إيجاد حلول تضمن الكرامة لهؤلاء المواطنين. وفي هذا الصدد يقترح آليات وأسس الاندماج الاجتماعي والمجالي المستدام في مشاريع إعادة الإسكان للذكور والإناث ، والذي بدون تفعيل ركائز التنمية السوسيواقتصادية للساكنة، لن يتحقق أي اندماج لهم.

موسى كرزازي
أستاذ جامعي والكاتب العام لمركز الدراسات
والأبحاث عزيز بلال

مفهوم الأمن القومي الاستراتيجي في عالم متغير

(انطلاقا من التجربة المغربية في مواجهة كوفيد19 وتداعيات الحرب الأكرانية)

موسى كرزازي[1]

تمهيد منهجي وعرض الإشكالية

أصبح مفهوم الأمن القومي الاستراتيجي يتعدى البعد العسكري ليشمل أبعادا أخرى أعم، تهم بالدرجة الأولى استراتيجية بلد كالمغرب. تعتمد هذه الأبعاد على أسس متينة، في مقدمتها تقوية الاقتصاد خاصة اقتصاد المعرفة منه، وتعزيز الجبهة الداخلية للإعتماد على قدرات الشعب في استغلال الموارد الطبيعة، على أساس استدامتها، وتحقيق استقلالية القرار السيادي مع ضرورة توفير الحاجيات لضمان الأمن الغذائي والصحي والاجتماعي والروحي، بارتباط مع ضمان الأمن المائي والطاقي، وتثمين التراث الثقافي والمعماري والرأسمال اللامادي الغني. وجب أن يتم كل ذلك، في إطار مؤسساتي ذي مصداقية،

انطلاقا من التجربة المغربية ومدى استعدادها لضمان أمنها القومي الاستراتيجي المركب بمفهومه الواسع، اعتمدنا في تحرير هذا المقال منهجيا لدراسة حدثين هامين هما، أولا: قراءة نقدية وتحليل لما عاشه المغرب خلال فترة كوفيد19 (من مارس 2020 إلى 2022)، وتداعياته من جهة؛ ثانيا: التمعن في التداعيات الخطيرة للحرب الأكرانية (صراع روسا الاتحادية مع الغرب) التي هزت العالم بأكمله، بمجرد تنفس البشرية الصعداء، مع بداية تخلصها التدريجي من الوباء والجائحة؛ وقد يتحول هذا الصراع إلى حرب عالمية ثالثة، في ظل التهديدات المتبادلة والمواجهة الخطيرة بين الطرفين المتصارعين على الساحة الأكرانية.

على ضوء هاذين الحدثين العالميين وتعميق تحليلهما انطلاقا من التجربة المغربية ومواجهتها لهذه الأحداث الطارئة، نقوم بمناقشة أهم التحديات، في عالم يتغير ويتكيف، مع تقديم اقتراحات لما يتطلبه الأمر من توفير الأمن القومي الاستراتيجي الشامل لأي بلد، وفي مقدمته المغرب، لمواجهة مثل هذه الأحداث الخطيرة ورفع مختلف التحديات.

1 - أستاذ التعليم العالي فخري-جامعة محمد الخامس- الرباط- Professeur Emérite UM5- Rabat .

الكاتب العام لمركز الدراسات والأبحاث عزيز بلال(CERAB)

لقد تتبعنا ملف كوفيد19 وانتشار الجائحة الذي جلب الأنظار، من خلال غزارة معطياته ومعلوماته عبر وسائل الإعلام السمعية البصرية والمكتوبة، الوطنية والعالمية، وفي الوسائط الاجتماعية، والذي تطلب تنوعا في التحاليل والمقاربات. وقد تولد عنها زخم من المعلومات العلمية المتضاربة أحيانا، وردود فعل شعبية داخل البلد وخارجه، تعكس هذا التضارب وهذا الغموض المرتبط بفيروس يعرف تحورات متسارعة في الزمان والمكان لم يشهد له العالم نظيرا في انشاره وطبيعة معالجته(Philippe Descamps, Le Monde diplomatique, 2021) . ومن جهة ثانية، تتبعنا ملف الحرب الأكرانية -الروسية وتداعياتها، ومن ورائها قوى الغرب (الحلف الأطلسي..) من جهة ؛ والقوى الصاعدة روسيا والصين، من جهة أخرى، وما يمكن التنبؤ به من تغيرات وتكيفات عالمية ستفضي بدون شك إلى ميلاد نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب.

انطلاقا من تحديد المفاهيم والسياق العام الدولي بارتباط مع المغرب وجواره الجيوسياسي اقتصادي المركب والمعقد (الجزائر شرقا وإسبانيا شمالا، و موريتانيا جنوبا..)، وكذا مع التغيرات العالمية ومختلف أشكال التكيف، سنعالج : في محور أول من هذا المقال مجمل الدعائم السياسية التي يقوم عليها الأمن القومي الاستراتيجي لبلد مثل المغرب ؛ وأهم الأحداث الكبرى التي عاشها ضمن السياق الدولي. ونركز في محور ثاني على مقاومة فيروس كوفيد وتداعياته انطلاقا من تجربة الدولة المغربية، لنستخرج بعض الخلاصات والاستنتاجات التي يمكن الاستفادة منها لاستشراف المستقبل. وفي محور ثالث : نتطرق إلى ظروف صمود المغرب في وجه هذا الوباء وتداعيات الحرب الأكرانية على اقتصاده، وخاصة التهاب أسعار المحروقات والمواد الأولية والغدائية، لاستخلاص العبر والدروس.

1 - الدعائم الأساسية للأمن القومي الاستراتيجي انطلاقا من تجربة المغرب

ينبني مفهوم الأمن القومي الاستراتيجي للمغرب على عدة دعائم أساسية، تجعل البلد مستقلا عن بلدان أخرى في اتخاذ قرارته السيادية، مؤمن بمبادئ وثوابت القانون الدولي، في ظل حياد إيجابي. وفي مقدمة هذه الأسس قدرة المغرب على تحقيق أمنه الشامل بأبعاده المتعددة :

- **الأمن العسكري**. ويتطلب بناء منظومة دفاعية قادرة على إحباط كل مغامرة خارجية تهدد سيادة البلد، ومواجهتها بفعالية في حينها. ولذا تدعو الضرورة تقوية الجيش وتحديث بنيته، وتطعيمه بطاقات شابة، وتأطيره بعناصر مؤهلة علميا وتكنولوجيا، منضبطة ومدربة على أحدث الأسلحة برا وبحرا وجوا؛ مما يعني استمرار التعبئة واليقظة في المجتمع لحماية الوطن، عبر نظام التجنيد الإجباري للشباب البالغ، وبناء صناعة متينة

متقدمة في ميدان الأسلحة المتطورة الفعالة. والتمكن من مقاومة الحروب الحديثة الإلكترونية، لحماية قاعدة معطيات الدولة، أو الوقاية من حروب بيولوجية....فالأمن العسكري يعتبر واقية فعالة لحماية الوطن؛ ذلك أن المغرب قريب من بؤر التوتر والهجرة السرية وتهريب الأسلحة والمخدرات، منها دول الساحل «مالي،و بركينا فاصو و النيجر» وليبيا..؛ يضاف إلى ذلك، التشويش على حدوده الشرقية و معاكسة وحدته الترابية من خلال احتضان النظام الجزائري لحركة انفصالية مسلحة خلال ما يقرب من نصف قرن(1974 - 2022) (كرزازي، 2019، 2022 ؛ Charles Saint-Prot et al. 2016.) وجار في الشمال، لا زال يحتل مدينتين في شماله (سبتة ومليلية والجزر الجعفرية). ولكن يجدر بالتذكير بأن المغرب قد حقق اليوم تقدما ملموسا على مستوى إنعاش العلاقات الديبلوماسية والتعاون وحسن الجوار مع الجارة الشمالية إسبانيا، بعد اعترافها لأول مرة بسيادة المغرب على صحرائه، في إطار مقترح الحكم الذاتي لهذه الأقاليم (ابريل 2022). وقد وثق هذا الاعتراف التاريخي، في بيان مشترك رسمي، مع توقيع مجموعة اتفاقيات بين البلدين الجارين، في إطار خارطة طريق واضحة المعالم، تقوم على أسس جديدة ومتينة تعيد الثقة بين البلدين، والتعاون على عدة مستويات. كما تم نشر خريطة كاملة للمغرب من طرف وزارة خارجية إسبانيا تؤكد المنعطف الجديد الذي تبنته عن اقتناع.

وقد فطنت الدولة المغربية لهذه الأخطار، فشرعت منذ المسيرة الخضراء في تأمين أمنها العسكري، مما ساعدها على مواجهة كل المناوشات، ومنها فتح معبر الكركرات أمام حرية المرور بدون تهديدات خارجية؛ بما فيه مرور السيارات الخصوصية والأفراد (أبريل 2022).

- **الأمن المائي**. ويعني توفير هذه المادة الحيوية لعيش الإنسان من ماء شروب ومياه للسقي واستخدامات متعددة في الصناعة والخدمات. ويقتضي هذا نهج سياسة التعامل بعقلانية على أساس استدامة هذا المورد، نظرا لوضعية التغيرات المناخية (Youthinkgreen, 2015)، وندرة الماء نظرا لطبيعة مناخ المغرب التي يغلب عليه القحولة والجفاف (امتداد الصحاري، والسهوب على معظم أراضيه)؛ وبالتالي ضرورة الأخذ بعين الاعتبار «الخصاص» في الماء. إن معالجة هذه الإكراهات تكمن في نهج سياسة حازمة تعتمد اقتصاد الماء، خاصة في القطاع الفلاحي المستهلك الأساسي للمياه (86%)، عبر اختيار أسلوب السقي الأقل هدر للمياه، وانتقاء المزروعات والمغروسات الغير مستهلكة للماء، تعوض تلك التي تستهلك كميات غزيره منه، وتخدم كبار الفلاحين. مع الالتجاء عند الضرورة إلى الطرق العصرية لتغطية الخصاص عبر تحلية مياه البحر، وإعادة استعمال المياه العادمة عبر تصفيتها في محطات خاصة. وقد وجب التذكير بتوالي فترات الجفاف بالمغرب،: ومنه الجفاف الحاد الذي حدث سنة 1981، واجتياحه خلال سنة 2022 نصف الأراضي المزروعة. ويقوم المغرب بمراجعة سياسته وتقنيات السقي، في اتجاه اقتصاد الماء.

- **الأمن الغذائي** ويعني قدرة البلد على إنتاج ضروريات غذاء السكان لتحقيق الاكتفاء الذاتي من حبوب وخضروات وقطاني وزراعات سكرية ولحوم وألبان وعلف؛ وكذا قدرته المالية على توريد الحاجيات الغير منتجة من أسواق مضمونة وبأسعار مواتية؛ وسن سياسة استباقية لتخزين المواد التي لا تتعرض للتعفن في مخازن تخضع لشروط صحية (أمان الغذاء وجودته). لقد استطاعت الدولة المغربية توفير المواد الأساسية من خضر ولحوم وألبان لتغذية مواطنيها حتى في عز أزمة كورونا، متكيفة مع ظروف الجائحة. وتجدر الإشارة إلى أن الدولة خولت مهمة استيراد الحبوب إلى القطاع الخاص، مما سهل عملية الاستيراد وبجودة عالية. وهو ما ساعد البلاد على توفير مخزون من هذه المادة ، لفترة تزيد عن خمسة أشهر. كما أن الدولة ساهمت في تأطير عملية التضامن مع الفئات الهشة، وتزويدها بمساعدات مادية لتغطية جزء من نفقاتها مع بداية انتشار الفيروس واللجوء الى الحجر الصحي.

ووجب التذكير بأنه في ظل الحرب القائمة حاليا (مارس- ماي 2022)، أصبح مستحيلا استيراد الحبوب من البلدين المتحاربين و اللذين يعدان من أكبر مصدري هذه المادة الحيوية. هذا الوضع المتأزم، أدى بالحكومة إلى البحث عن حاجياته منها في أسواق أخرى (فرنسا والبرازيل..) ولكن بأسعار جد مرتفعة، مثلها مثل المحروقات؛ الشيئ الذي سينهك ميزانية البلد.

كما تدعو الضرورة الملحة تغيير المغرب لبعض أنظمته الزراعية وانتقاء المزورعات والمغروسات الملائمة في الخريطة الفلاحية (أي تلك التي لا تستهلك كميات كبيرة من الماء) لتلبية الحاجيات الضرورية (كالحبوب والخضروات والقطاني والزيتون..) عوض تلك التي تستهلك كمية مفرطة من الماء وتوجه للتصدير، لفائدة أقلية من كبار الفلاحين. في هذا الصدد، فقد حذر الأمين العام للأمم المتحدة من اجتياح المجاعات لعدة بلدان نامية، إذا استمرت الحرب الأكرانية.

- **الأمن الطاقي**: أصبحت الطاقة الأحفورية (محروقات «النفط والغاز الطبيعي»، والفحم الحجري) والطاقة المتجددة النظيفة (شمسية، ريحية، كهرمائية) محركا لاقتصاديات العالم، تستخدم في ميدان النقل والصناعات والتدفئة والخدمات. وقد تستخدم كسلاح، كحالة قطع إمداد الغاز الطبيعي من طرف حكام الجزائر عن المغرب (كمثال أول)، وتعطيل انبوب الغاز المار من المغرب لإمداد أوربا أيضا بهذه المادة الحيوية، منذ سنة 2021. المثال الثاني : تداعيات تبعية اوروبا لروسيا الاتحادية باعتمادها على 40% من استهلاك بلدانها للغاز الطبيعي الروسي (2022) وربع استهلاكها من نفط هذا البلد كذلك، مما استحال على بلدانها، وفي مقدمتها ألمانيا وهنغاريا، الاستغناء عن الامدادات

الطاقية الروسية في عز الحرب الأكرانية، رغم محاولة «معاقبة» روسيا، بالإحجام عن شراء حاجياتها الطاقية منها.

في هذا الصدد، كان المغرب واعيا بأهمية الأمن الطاقي، حيث أعطى الأولوية لإنتاج الطاقة المتجددة النظيفة وتحديد تاريخ 2030 لإنتاج 62% من حاجياته الطاقية الشمسية والريحية والكهرومائية، للتخفيف من ثقل فاتورة استيراد المحروقات، وتماشيا مع مبدأ حماية وصون البيئة. كما أن مشروع مد أنبوب الغاز الطبيعي الضخم المنطلق من نيجريا في اتجاه المغرب، في اطار اتفاقية تعاون وشراكة بين دول الجنوب، والذي يمر ويزود ثلاثة عشر دولة من افريقيا الغربية على الساحل الأطلنتيكي، اضافة الى المغرب وأوربا. لقد أظهرت الحرب الطاحنة بين الغرب وروسيا صواب التخطيط المغربي لاستشراف المستقبل، وفتح آفاق جديدة للتعاون الثلاثي (المغرب- نيجيريا- أوربا) جنوب-جنوب، وجنوب شمال، عبر بوابة المغرب (الأقاليم الجنوبية المنفتحة على إفريقيا جنوب الصحراء) لخدمة السلم العالمي ورخاء البشرية. ويعزز هذا المشروع بالنتائج الواعدة لإنتاج الغاز الطبيعي من تندرارة والغرب والساحل الأطلسي، بكميات يتوقع أن تسد حاجيات المغرب من هذه المادة الحيوية التي ارتفعت أسعارها في السوق العالمية بشكل لافت.

- **الأمن الصحي**. ويعني توفير التجهيزات الصحية الأساسية والموارد البشرية (أطباء، ممرضين، أطر إدارية لتدبير القطاع الصحي) وتوزيعها مجاليا حسب حجم السكان؛ مع تجويد خدماتها بالأرياف والمدن مصحوبة بيقظة دائمة، استعدادا لمواجهة انشار فيروسات دورية قد تنجم عنها أوبئة وجوائح. والمثال الحي هو فيروس كوفيد 19 ومتحوراته الذي تسبب في جائحة كورونا سنتي (2022-2020)، ولم يقضى عليه بصفة جذرية لحد الآن. مما يقتضي ضرورة تمكن البلد وقدرته على إنتاج الأدوية واللقاحات والأجهزة اللازمة دون انتظار النجدة من الغير. وقد أظهر وباء كورنا الاضطرابات التي هزت بلدانا متقدمة كإيطاليا التي طلبت النجدة والاستغاثة من حلفائها وجيرانها في الاتحاد الأوروبي، ولم تلبى إلا بعد سقوط آلاف ضحايا الجائحة. وسياسة المغرب في ميدان الاعتماد على نفسه لضمان الحد الأدني لمواجهة الوباء، كان «فرصة» في ظل الأزمة التي اجتاحت كل بلدان العالم، توفق فيها نسبيا، ولذا وجب تشجيعها وتطويرها والاستفادة من درسها، عبر تشجيع البحث العلمي بدون تردد. مع التركيز على كفايات الابتكار، والخلق والإبداع. وتعاون خلاق بين القطاع العام والخاص في هذا المجال.

- **الأمن الاجتماعي** (الصحة والتعليم والشغل): يقتضي توفير التغطية الصحية والتعليمية وضمان الشغل والخدمات الضرورية لكل مواطن (ة) للاستفادة من العلاج والأدوية والتربية والتعليم والتعويض عن الشغل...والتقاعد..ولا بد من استخلاص الدروس من

فترة انتشار الوباء حيث عانى ملايين المغاربة من نقص في هذه الخدمات، نظرا لحرمانهم من الحماية الاجتماعية، ومنها التغطية الصحية وخدمات ضرورية لضمان كرامة المواطن. وسوف يتوفق المغرب على مراحل في تعميم الحماية الاجتماعية على فئات مهنية واجتماعية ظلت خارج التغطية الصحية، ولا تستفيد من أي خدمات اجتماعية.

بعد تحقيق هذه الدعائم الأساسية، سيتم بالتأكيد، تعزيز سيادة وأمن البلد، لتحقيق الاستقرار والتنمية البشرية المستدامة، ويصبح قوة إقليمية تدعو للسلم والأمن الإقليمي والدولي. هذه الأسس تعتبر أركانا للدولة الحديثة، لكونها توفر لمواطنيها، بمختلف فئاتهم الاجتماعية والمهنية، أهم ضروريات العيش، وتحمي لهم المكاسب الاقتصادية والاجتماعية، كشروط حيوية للعيش الكريم للأفراد والجماعات، في إطار عدالة اجتماعية ومجالية، في حياد إيجابي عن الكتل الكبرى المتصارعة.

إن دولة تتوفر على هذه الخصائص وتتبع مبادئ الحياد الإيجابي، تعتبر قوة إقليمية يحسب لها حسابها. ومع ذلك، فلا بد لها من ربط علاقات ديبلوماسية واقتصادية نشيطة متنوعة ومتوازنة، حتى مع الكتل المتباينة معها في اختياراتها السياسية والاقتصادية والأيديولوجية. وعلى سبيل المثال، فإن السياق الحالي يبرز قوة الغرب الرأسمالي الاقتصادية والعسكرية من جهة ، وروسيا والصين وعدد من الدول النامية الصاعدة كالهند وباكستان، والبرازيل.. من جهة أخرى. مما يفرض التعامل مع كل هذه الكتل، على تنوعها، في إطار نهج سياسة حكيمة ومتوازنة على أساس احترام سيادة البلدان على أراضيها ووحدتها الترابية، وتطبيق مبدأ «رابح-رابح»، لخدمة المصالح العليا للوطن والشعب، والتعاون والتآزر مع الشعوب لتحقيق رخائها (OCP, Policy Center, 2018).

كما يقتضي الوضع الأمني الإقليمي والدولي المعقد، عقد تحالفات دفاعية لمواجهة أي مغامرة هجوم من أي جهة كانت، قريبة أو بعيدة جغرافيا. ذلك أنه رغم توفير الشروط الأساسية لأمن الدولة العام والمركب، المتجسد في الجانب العسكري والغير عسكري، لابد لبلد كالمغرب له موقع استراتيجي هام (زروقي، 2004؛ كرزازي 2019، 2022)، أن يخطط استراتيجية دفاعية له، على الأمد المتوسط والبعيد، تعتمد على يقظة دائمة وفعالة، لتكون لها الجاهزية الكاملة لمواجهة أي خطر، قد يهدد سيادة ترابه ووحدته الوطنية، في عالم يتغير ويتحول ويتكيف باستمرار (أزمة العرجات بواحة فجيج واقتطاع أملاك مسجلة ومثبتة لأسر مغربية على الحدود تم الاستيلاء عليها من طرف عسكر الجزائر) (مرزوق عبدالكريم وآخرون، «تنسيق»، 2022).

2 - مع بوادر انتهاء كوفيد واندلاع حرب روسيا- أكرانيا، هل هو انبعاث للحرب الباردة من جديد ؟

أحداث تهز العالم باستمرار: منها ظواهر طبيعية تترجم عمليا في **التغير المناخي وعواقبه الوخيمة** ، المتمثلة في العواصف المدمرة والفيضانات بأمريكا وأوربا وآسيا، والجفاف والقحط الدوري وتداعياته، كالمجاعات بالساحل الإفريقي. ولذا فقد تم عقد مؤتمرات دولية متتالية لمعالجة هذه الإشكاليات المعقدة والمشاكل الطبيعية والبشرية المركبة المستعصية، خاصة المرتبطة بحياة ومصير البشرية على كوكبنا الأزرق (مؤتمرات الأطراف الدولية حول التغير المناخي: كوب 21؛ 22،....)، وقد قام المغرب بواجبه باحتضانه لأحد هذه المؤتمرات الدولية بمراكش بعد مؤتمر باريس، إضافة إلى مبادرات شبابية دولية خلاقة، لرفع مختلق التحديات البيئية بالعالم (Youthinkgreen,2015).

لكن الحدث الفريد الذي لم يشهد له مثيل في العالم في الماضي القريب، وحتى البعيد على حد علمنا، يتمثل في انتشار فيروس كوفيد*19* ومتحوراته الذي تسبب في جائحة كورونا منذ مارس *2020* إلى اليوم *2022*، مع بوادر اختفائه المحتمل، مع ما خلفه في العالم من اضطرابات صحية، نفسية، اقتصادية واجتماعية. وقد نتج عنه، فرض تغيير واضح في طرق عيش السكان وأنماط حياتهم وظروف عملهم وسلوكهم. وهو ما يبرر اتخاذ عدة دول إجراءات احترازية ووقائية من العدوى، لم يشهد لها العالم مثيلا، من تباعد، و»كمامات» (أقنعة) وغسل اليدين بالصابون ومعقمات، وتلقيحات متتالية، مل الناس منها، وتسببت في أمراض نفسية وجسدية.

لقد أثر انتشار هذا الفيروس في تغير واضح في العلاقات الدولية (إغلاق الحدود الدولية البرية والبحرية والجوية، وفرض جواز التلقيح لفترة معينة...) وأثار نقاشا حادا بين العلماء والمختصين والخبراء خاصة بعد توقيف النقل الجوي والبحري بإغلاق الحدود، وركود الاقتصاد العالمي، وما رافقه من انخفاض في أسعار المحروقات إلى أدنى مستوى لها (أقل من 40 دولار للبرميل من النفط في بداية الجائحة)، لتعرف الأسعار ارتفاعا صاروخيا في نهاية الجائحة واندلاع الحرب الأكرانية، إذ تعدى 100 دولار، بل فاق أحيانا سقف 150 دولار للبرميل الواحد سنة 2022. وقد يتعداه مع استمرار اندلاع الحرب الروسية- الأكرانية، ومن خلفها الحلف الأطلسي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية في تحالف علني مع دول رأسمالية كاليابان واستراليا وكندا؛ مقابل تحالف عملي غير معلن رسميا، بين روسيا والصين ودول إقليمية تدور في فلك المتصارعين. وقد بلغ سعر اللتر الواحد بالمغرب للمحروقات أعلى ثمن له منذ عقود تعدى 15 درهما للكازوال الذي فاق سعر البنزين لأول مرة في تاريخ المغرب، منتصف أبريل 2022.

مع تباشير اختفاء فيروس كوفيد في مطلع 2022، اندلعت صراعات المصالح بين القوى الكبرى، ومقاومة الهيمنة والسيطرة للقطب الواحد، ونموذجها بؤرة بلد أكرانيا (جمهورية سوفياتية سابقا) التي أصبح مجالها حلبة للصراع بين الغرب ورأس حربته الحلف الأطلسي وخلفيتها الولايات المتحدة الأمريكية التي جرت إليها حلفاءها الأوروبيين (الاتحاد الأوربي)، من جهة؛ وروسيا كقوة صاعدة انبعثت من رماد الاتحاد السوفياتي وحلف وارسوا الذي تم حله من الجهة الأخرى. فقد تدخلت روسيا الاتحادية بقيادة رئيسها فلادمير بوتين، عسكريا وطوقت عدة مدن أكرانية لأزيد من شهرين (مارس- ماي 2022) رغم العقوبات الاقتصادية المتنوعة التي سارعت إلى تطبيقها دول الغرب عليها، لكن دون أن تصل حد المغامرة بالدخول في معارك عسكرية مباشرة درءا لحرب نووية لا تبقي ولا تذر.

وبشكل غير رسمي، لكن في نفس الاستراتيجية المقاومة للهيمنة الأمريكية تتموقع قوة الصين الناعمة، التي تتفادى التورط في الصراع العسكري، رغم دعمها لروسيا بطرق ذكية، والذي ظهر مجسدا في توقيع اتفاق على مد أنبوب الغاز الطبيعي المنطلق من روسيا إلى الصين عبر منغوليا، في عز الأزمة الأكرانية، تعادل كميته تلك المسوقة لدول أوربا، . إضافة إلى قبول الصين شراء كل المبيعات السابقة من روسيا للغرب، والذي سيظهر مستقبلا إلى أي حد سيتم احكام الغرب العزلة على روسيا.

هذا الوضع الجديد يذكر بانبعاث ظروف الحرب الباردة التي استمرت لعقود بعد الحرب العالمية الثانية. وكان قد اعتقد الجميع أنها انتهت إلى غير رجعة بانهيار الاتحاد السوفياتي 1991 بعد سقوط جدار برلين 1989، والتي تلاها فك الارتباط بين روسيا الاتحادية وبلدان أوربا الشرقية التي كانت تجري في فلك الاتحاد السوفياتي.

لقد انضمت عدة جمهوريات من المعسكر الشرقي إلى الاتحاد الأوربي ثم الحلف الأطلسي (بولاندا، رومانيا، هنغاريا، جمهوريات البلطيق (ليتونيا استونيا، لاتيفيا...). ولم تستطع روسيا المنهارة آنذاك، الاعتراض على هذا الضم، إلا بعد استرجاع قوتها في عهد الرئيس بوتين الذي كان رئيسا لجهاز المخابرات (KGB) في عهد الاتحاد السوفياتي، عندما لاحظ امتداد الحلف الأطلسي إلى حدود بلاده؛ واعتزامه ضم ما بقي من جمهوريات كانت سوفياتية سابقا كجورجيا وأكرانيا. وهكذا، وبعد شعورالرئيس بوتين بخطر استراتيجية الحلف الأطلسي الذي قام عمليا بتطويق حدود روسيا، خاصة بعد انضمام معظم دول أوربا الشرقية سابقا، إلى الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي ، و بإظهار هذه البلدان عداءا علنيا لروسيا، فقد اعتبرها إيذانا بالحرب على بلده. مما أدى إلى اجتياح الجيش الروسي لأكرانيا، بعد ضمه سابقا شبه جزيرة القرم. كما اعترف

بجمهورتي شرق أكرانيا كدول مستقلة، باعتبار المضايقات التي كان يتعرض لها المواطنون من أصل روسي في هذه المناطق..

لكن الصراع الجيوسياسي اقتصادي استراتيجي الحالي ، يدور هذه المرة في إطار موازين قوى جديدة، تنبئ بميلاد نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب. منها صعود بلدان بازغة كالصين وروسيا الاتحادية ودول إقليمية لها قوتها كتركيا وإيران...والهند وباكستان الدولتين النوويتين. وبرزت الصراعات على جبهات من خلال توالي الأحداث اليومية التي تحدث نتيجة الحروب الإقليمية والاضطرابات الداخلية في عدة بؤر تنذر باحتكاك روسيا مع أمريكا وحلفائها الأوروبيين (دول الساحل : مالي، الصومال، أثيوبيا)؛ وتواجد ميلشيات مسلحة «فاغنر» بها تابعة لروسيا.. إضافة إلى بؤر التوتر والنزاعات بالعالم العربي في ليبيا واليمن والسودان، وسوريا ولبنان والعراق ؛ كلها تساهم في زعزعة أمن هذه الدول وتذكي بؤرا جديدة في العالم، تتصارع فيها القوى الكبرى للهيمنة عليها والسيطرة على اقتصادياتها وأسواقها بإقصاء الأطراف الأخرى (روسيا، الصين...) (Benmessoud Trédano, A. ;RMSPS (راجع مقالات عبدالمغيث تريدانو وباحثين آخرين، مجلة العلوم السياسية والاجتماعية) ، مما يدعونا إلى طرح السؤال : هل هي عودة إلى الحرب الباردة؟ (خ. القضاوي، خ. بوتخيلي، 2018).

3 - حرب جديدة في العالم ضد فيروس فتاك: هل هي فرصة لتقدم المغرب (صنع بالمغرب)؟

كويفيد 19 ومتحوراته وتسمياته المختلفة (ألفا، دلتا، أومكرون...) فيروس من نوع خاص، لم يشهد العالم الحديث والمعاصر مثيلا له في سرعة انشاره ومظاهره وقوة بطشه بالإنسان؛ مما أظهر محدودية قدرة الإنسان على مقاومته خلال أكثر من سنتين متتاليتين (مارس 2020 - 2022)، رغم تنوع تقنياته وأدواته وتطور تكنولوجياته الأكثر تعقيدا في الميدان الصحي في التغلب عليه والقضاء عليه. ويحدث هذا رغم تراكم التجارب العلمية والأبحاث البيولوجية والاختراعات التكنولوجية لمعظم الدول المتقدمة. لقد اهتدى الإنسان بعد فترة من انتشار الفيروس، إلى اختراعات لأنواع من التلقيحات التي تعممت في العالم انطلاقا من الصين وروسيا وابريطانيا وأمريكا، إضافة إلى محاولات دول اقليمية متوسطة، بلوغ هدف اختراع تلقيح خاص بها كتركيا وإيران وكوبا. كما أن المغرب ساهم في التجارب السريرية في تعاونه مع الصين، وعقد اتفاق في ميدان صناعة اللقاحات مع هذه الدولة البازغة. وتعتبر تجربة المغرب سابقة إيجابية فريدة من نوعها لبلد نامي ظل لعقود من الزمن تابعا ومعتمدا على القوى الأوربية وفي مقدمتها فرنسا، ليعتمد على نفسه في ظروف كوفيد، تحت ضغط الحاجة (الحاجة هي أم

الاختراع). وهذا ما أدى إلى تسجيل براءات اختراعات باسم البلد «صنع بالمغرب» بالمختبرات الجامعية والصحية، بتعاون بين القطاعين العام والخاص، ومنها أجهزة التنفس الاصطناعي، وتحويل بعض الصناعات النسيجية إلى صناعة حاجياته من الأقنعة («الكمامات»)، وصنع أنواع من المعقمات واللقاحات، وفي مقدمتها «كوفيد 19 ومتحوراته» لتلبية طلبات السوق الداخلي المغربي، في أفق توسيعه ليشمل أسواق بلدان إفريقيا جنوب الصحراء. وقد توفق، إلى حد كبير، فيما لم تتوفق فيه دول متقدمة، بما فيها فرنسا، بلد مختبر باستور الذائع الصيت. وعلى مستوى آخر، تم عقد اتفاقيات مع الصين لإنتاج لقاحات ، فيما يسمى «صنع في المغرب». وهذا ما يؤكد عمليا ثقة الدولة المغربية في علمائها وفي الطاقات الشابة للباحثات الباحثين العلميين والمشتغلين في ميدان علم البيولوجيا والتكنولوجيا المتطورة في الطب والعلاج، عندما توفر لهم شروط البحث والعمل، من أجل اختراعات جديدة. وبذلك، تمكن المغرب من تحقيق براءات اختراعات واكتشافات علمية في ميدان هذه العلوم لتلبية جزء من حاجيات البلد من هذه المواد والتقنيات وأجهزة التنفس الاصطناعي وقد برزت بشكل واضح مساهمة الكفاءات المغربية بالخارج في هذا الميدان.

◆ استنتاجات وعبر وجب استخلاصها من انتشار الوباء والجائحة بالمغرب

▪ جائحة كوفيد أظهرت مدى ضعف الأمن الصحي بالمغرب

من النتائج التي يمكن تسجيلها، هي أن الجائحة أظهرت مدى النقائص والخصاص الكبير الذي يعاني منه القطاع الصحي بالمغرب، وفي مقدمته محدودية الموارد البشرية (الأطباء والممرضين والأطر الإدارية..)، وضعف شبكة توزيع المنشآت الصحية والتجهيزات الكافية للوقاية والعلاج في الأرياف والمدن؛ بحيث لم تستطع بنيات الاستقبال بمختلف المستشفيات المغربية مواجهة ضغط المصابين وعلاجهم، خاصة مع تطور الفيروس وتحوره وسرعة انتشاره. حدث هذا رغم المجهودات المبذولة من طرف الدولة ومن الطاقم الطبي الذي قدم تضحيات كبيرة، بلغت حد تسجيل وفيات لعدد من الأطباء وأساتذة الطب في الميدان والأطر الصحية ، إضافة إلى الاعتكاف ليل نهار في المستشفيات للأطباء والممرضين والأطر الإدارية، حتمتها الضرورة الصحية في بداية انتشار الفيروس على حساب الروابط الأسرية والاجتماعية[2].

هذا الفيروس لم يميز بين البلدان النامية والمتقدمة، بل إن الفتك كان كبيرا بعدة دول اوربية كإيطاليا التي شهدت دراما الوفيات في بداية الجائحة وبشكل مهول، دون تلقي مساعدة

2 . راجع معطيات وزارة الصحة: النشرات اليومية الصحية وتدخلات الأطباء المختصين حول تطور الوضع الوبائي بالمغرب والعالم (2020-2021).

وتضامن عاجل من دول الاتحاد الأوربي، بعد تعرضها أكثر من غيرها للفتك الذي لم تستطع مقاومته. بل سجلت الأحداث أنانية بعض الدول عندما تم الاستيلاء على لقاحات وأدوية بسفن في عرض البحار كانت قادمة من الصين وموجهة إلى دول أخرى. فاستولت عليها قوات اجنبية في عرض البحر الأبيض المتوسط لصالح بلدانها (قانون الغاب).

- **دور الدولة المغربية الحاسم في رعاية المواطنات والمواطنين: الضرورة والحاجة هي أم الاختراع**

لقد تم تسجيل أنانية مقيته لبعض البلدان المتقدمة، بحيث أصبح كل بلد يبحث عن طوق النجاة لسكانه دون اهتمامه بالبلدان والشعوب الأخرى في البلدان النامية التي لم تستطع شراء أو اقتناء اللقاحات كما فعلت البلدان المتقدمة.. في فترة أولى اعتبرت المعركة ضد الفيروس «مسألة حياة أو موت» وسط هلع واضطرابات للحصول على حقنات كافية منها، من الصين ودول أخرى. وربما هذا ما حذا بقوى إقليميه بالانكباب على البحث العلمي والتكنولوجي البيولوجي في مختبراتها لاختراع تلقيح لتلبية حاجيات شعوبها.

.على مستوى آخر، أظهرت الوقائع دور الدولة المغربية الريادي في مواجهة الوباء على المستوى الأمني (نساء ورجال الأمن والقوات المساعدة، ونشر مستشفيات متنقلة يصهر عليها الجيش المغربي بالمدن والجبال والأرياف)، وكذا الطاقم الطبي الذي ظل في الواجهة. وفي نفس جبهة المواجهة للفيروس، استمر قطاع التعليم في واجهة ازمة كوفيد، رابضا بأساتذته وأطره الإدارية على مستوى المدرسة الابتدائية والتأهيلية والجامعة، مجندا لتلقين الدروس حضوريا وعن بعد، عندما تقتضي الضرورة ذلك. وتمكن الأساتذة والتلاميذ من التكيف مع ظروف الحجر الصحي عبر تسجيل دروس وإلقائها عن بعد، وتلقيها في المنازل، بحيث لم تتوقف الدراسة نهائيا رغم الصعوبات وضعف مردودية التعليم عن بعد، خاصة في الأرياف والأحياء الفقيرة التي لا يملك التلاميذ في الأسر المعوزة الوسائل التقنية من حواسب وهواتف، وكذا الاشتراك في شبكة الأنترنيت لتلقي الدروس في وقتها؛ وإن كان يحسب للدولة المغربية أنها قد جندت طواقم صحفية للتخفيف على هذه الفئات المعوزة، عبر الاستفادة من الدروس عن بعد بواسطة القنوات التلفزية العمومية.

وقد أبرز هذا الوباء عدة ثغرات وفجوات منها ضعف البنيات التحتية التواصلية عبر شبكة الاتصال، كصبيب ومنسوب الأنترنيت الذي ظل منخفضا لدى الشركات المعنية رغم تجندها، مما كان يؤدي إلى حدوث انقطاعات متكررة مقلقة ومعرقلة للاستفادة من البرامج الدراسة عن بعد. كما برز التباين الشاسع بين عالم قروي جد متخلف في دواويره وقراه، يفتقد إلى الحد الأدنى من التجهيزات والموارد البشرية في ميداني الصحة والتعليم، وعالم حضري يعاني

من التفاوتات بين أحياء وفئات اجتماعية تتوفر على شروط مثلي للاستفادة من الدروس عن بعد، وأخرى لا تتوفر على نفس الفرص، نظرا للفوارق الاجتماعية الكبيرة بينها، والهشاشة التي ظهرت بشكل واضح خلال محنة كوفيد؛ تلك التي مست ثلثي السكان الذين أصبحوا بين عشية وضحاها في حاجة إلى دعم الدولة ورعايتها لهم. هذا ما قد يساعد الدولة والنخب السياسية والاقتصادية والاجتماعية مستقبلا، على مراجعة الأنظمة المدبرة للحياة اليومية للمواطن، في أفق تبني استراتيجية تنموية جديدة، بعيدة عن سياسة الريع السياسي والزبونية ودعم الأثرياء على حساب الفئات المستضعفة، في عدة مشاريع وبرامج ومخططات، مما يفرغها من محتواها.

أمام ظروف الأزمة ومحنة المواطنين، استطاعت الدولة المغربية أن تتكيف إيجابيا مع كل مراحل الأوضاع التي مر منها المغرب ، ابتداءا من مطلع مارس 2020 ، مع إعلان تفشي الوباء بالبلد، إلى بداية سنة 2022. وبذلك خففت مبادرات الدولة الاجتماعية، العبء على المشتغلين في القطاعات المتضررة من الوباء والتي توقفت أنشطتها (مقاهي، مطاعم، فنادق..) عبر تقديم مساعدات وإعانات مادية وعينية لتخطي الظروف القاسية الناتجة عن تجمد عدة أنشطة. كل ذلك يدخل في إطار تجند الدولة في وقت الشدة مع بداية انتشار الفيروس لمحاصرته عبر أخذ الاحتياطات الكفيلة لتقليص المرض، للتخفيف على بنيات صحية غير قادرة على تحمل كثرة المرضى من هذا المرض الخطير. وفي نفس الوقت بادرت بتوسيع فضاءات استقبال مجهزة لمرضى كوفيد خارج المستشفيات.

- **صمود المغرب وضرورة بعث قيم التضامن والتآزر المتآكلة في المجتمع المغربي**

استطاع المغرب أن يصمد كدولة بكل مكوناتها وبالجالية المغربية بالخارج لمقاومة حاسمة ضد هذه الجائحة، ويواجه بحزم تطورات أزمة الفيروس ومتحوراته إلى أن خرج منتصرا من هذه المحنة في فاتح مارس 2022 ، مع إقرار اللجنة العلمية ووزارة الصحة بانتهاء موجة أوميكرون وانتقال البلد إلى المنطقة الخضراء ، رغم استمرار اليقظة والحذر من عودة الفيروس أو متحورات أخرى كما حدث ببعض مدن الصين، كشنكهاي (مارس- ماي 2022).

تسجل هذه الوقفة للدولة المغربية الراعية والضامنة لأمن البلاد والعباد زمن الشدة، رغم بعض الصعوبات التي أظهرت هشاشة المجتمع المغربي من خلال بروز ملايين الفقراء المحتاجين للدعم الاقتصادي والاجتماعي. وفي نفس الوقت أظهرت الأسر المغربية تضامن أفرادها في الداخل والخارج، وخاصة من الجالية المغربية التي كانت ترسل حوالات لأفراد عائلاتها، وكذا استثمارها لملايين الدراهيم التي ضختها من بلاد المهجر في الأبناك المغربية، رغم صعوبة الظرفية بأوربا وباقي بلدان العالم خلال فترة انتشار كوفيد. وهي نقطة إيجابية توضح قوة تماسك

الجسم المغربي بالداخل والخارج، مما يستدعي الاعتناء بمغاربة العالم.

- **فتح أوراش اقتصادية واجتماعية فرصة لانطلاق تنمية بشرية مستدامة وتعزيز المكاسب السابقة**

رغم العوائق والصعوبات والمشاكل التي برزت خلال فترة كوفيد، فقد كانت فرصة أيضا دفعت الدولة إلى اتخاذ قرارات جريئة، وتطبيق إجراءات وانطلاق مشاريع جديدة اقتصادية واجتماعية، وخلق دينامية جديدة بدعم المقاولات الصغرى والمتوسطة والقطاعات الاستراتيجية في كل مشاريع التنمية، وفي مقدمتها القطاع الصحي والتعليمي وقطاع الشغل. هذا البعد الاجتماعي الذي ظهرت هشاشته جعلت ملك البلاد يعطي تعليماته للحكومة لإصدار قانون الحماية والتغطية الاجتماعية وتسريع أجرأة بنوده ومراسيمه التطبيقية. وهكذا شرع في تفعيله مع مطلع 2022، حيث فتح هذا النظام لانخراط عدة فئات اجتماعية ظلت خارج الحماية والتغطية الصحية، ومنها أطر عليا تنتمي إلى فئات اجتماعية من الطبقة الوسطى في القطاع الخاص، كالأطباء والصيادلة والممرضين الخواص، وكذا قطاع الصناعة التقليدية من حرفيين وعمال مأجورين، وقطاع فلاحي (فلاحين) وقطاع الخدمات الحرة (تجار...)، لتسفيد فئاتها كمواطنين ماديا ومعنويا، عبر انخراطها في نظام الحماية الاجتماعية، بالتعويض عن الفحوص الطبية ومعالجة المرض وشراء الأدوية، وكذا الاستفادة من إجراء العمليات الجراحية الباهضة الثمن. وقريبا، سيتم التعويض عن فقدان الشغل. هذا الورش الاجتماعي المتمثل في الحماية الاجتماعية يعتبر أهم مكسب لهذه الفئات انطلق في عز المعركة ضد الجائحة، إذ أصبحت فئات اجتماعية منخرطة، تتمتع كباقي الموظفين بحقوقها في التوصل بمعاش التقاعد والتغطية الصحية والتعويض عن الشغل بما يضمن لها الحد الأدني من الكرامة كمواطنات ومواطنين، وخاصة صغار الفلاحين والتجار الصغار ومهنيي الصناعة التقليدية والمهن الصغيرة الحرة. وانطلقت مشاريع التشغيل للشباب العاطل (برنامج «أوراش») وكذا الشباب الراغب في تأسيس مقاولات صغرى (برنامج «فرصة»).

- **تنويع المغرب لعلاقاته الديبلوماسية وشراكاته في إطار حياد ايجابي يخدم السلم والأمن القومي والإقليمي والدولي**

إن التوجه الذي اتخذه المغرب وسار فيه، كما أكدته الأحداث، يعتمد على تنويع التعاون والشراكات مع مختلف البلدان وهو ما جعل البلد يربط علاقات متينة مع افريقيا جنوب الصحراء ومع القوى الصاعدة كالصين وروسيا وكوريا الجنوبية وتركيا، ودول الكرايبي وأمريكا اللاتينية (المغرب عضو ملاحظ في البرلمان الكرايبي) إضافة إلى استمرارية العلاقات مع الشركاء

التقليديين في أوربا وأمريكا الشمالية واليابان ودول الخليج.

في هذا الصدد، توفق المغرب بسياسته الخارجية المبنية على الثوابت الدولية (احترام سيادة الدول الترابية ووحدتها، وحل النزاعات بالطرق السلمية) والحياد الإيجابي، وعلى التعاون والتآزر وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، توفق في تطوير علاقات مع دول إفريقية وأمريكا اللاتينية كانت تتبنى أطروحة الخصوم، كنيجريا وكينيا و كوبا ..عبر توقيع شراكات استراتيجية مع عدد منها كالمشروع العملاق المتمثل في مد أنبوب الغاز الطبيعي من نيجيريا إلى المغرب عبر عدة دول في غرب إفريقيا، لتحقيق أمنه الطاقي وتنشيط التعاون جنوب –جنوب وتقوية قطاعه الصناعي. في هذا السياق سبق له أن وقع عدة اتفاقيات مع دول إفريقيا جنوب الصحراء، وخاصة في ميدان التبادل التجاري والمال (الأبناك) والاتصال والمواصلات والبنيات التحتية والطاقة، وهو ما غير مواقف هذه الدول لصالح القضية الوطنية، خاصة لما عاد المغرب إلى منظمة الاتحاد الإفريقي سنة 2017، وأصبح يلعب فيه دورا محوريا على عدة مستويات، يهم ضمان الأمن والسلم والتنمية في البلدان الإفريقية عبر التعاون في مصلحة الطرفين.

هذه العلاقات الديبلوماسية المتوازنة بين الأطراف الدولية الفاعلة في الساحة، والشراكات والتعاون مع البلدان الإفريقية مكن المغرب من الانفتاح على العمق الإفريقي، وأصبح شريكا له مصداقية تسعى عدة دول من خارج إفريقيا التعامل معه عبر الاستثمار في الأقاليم الجنوبية التي أصبحت قطبا جذابا لعدة استثمارات خليجية وصينية وأمريكية وأوربية. ومن نتائج هذه السياسة الرزينة اعتراف الولايات المتحدة نهاية سنة 2020 بمغربية الصحراء، وفتح عدة دول قنصليات لها بالعيون والداخلة تعدت العشرين، وتعززت بمراجعة عدة دول أوربية لأوراقها في التعامل المستقبلي مع المغرب في شفافية وعلانية باعترافها بسيادته ووحدة اراضيه وفي مقدمتها ألمانيا وإسبانيا التي اعتبرت أن مبادرة الحكم الذاتي بالأقاليم الجنوبية تحت السيادة المغربية (سنة 2022) هو الحل الوحيد الجدي والواقعي وذي المصداقية القابل للتطبيق في الأقاليم الجنوبية.

- **تعزيز الجبهة الداخلية وتعميق المسلسل الديموقراطي بالمغرب ضمان لاستقرار البلاد وأمن شعبه**

رغم المجهودات التي قامت بها الدولة الراعية خلال الأزمة، وما حققته من خطوات إيجابية في سياستها الخارجية للطي النهائي لملف الصحراء المغربية، يظل تعزيز الجبهة الداخلية هو الكفيل وحده بترسيخ هذه المكاسب وتوطيد الاستقرار في منطقة شمال إفريقيا وبما يجري في دول الجوار فيما يسمى ب«منطقة الساحل» التي تعرف عدم استقرار أمني وتجارة الأسلحة

والمخدرات والتهريب وخطر الإرهاب والتجارة في البشر والهجرة السرية والقسرية والتهجير، لتنسيق سياسته الخارجية مع حلفائه لمواجهة مختلف هذه التحديات.

عكس أوضاع عدة بلدان مغاربية وعربية وإفريقية، ينعم المغرب بالاستقرار والأمن. ولذا فقد رفع التحدي بالداخل عندما استطاع أن يجري انتخابات جماعية وتشريعية ومهنية في عز انتشار وباء كورونا، انبثقت عنها حكومة ومجلس نواب ومجلس مستشارين بأغلبية مريحة حصل عليها ثلاثة أحزاب سياسية، رغم ما سجل من ثغرات. ويمكن للأجهزة الحاكمة أن تشتغل بدون ضغوط، رغم السياق الدولي الحالي الغير مستقر. كما يمكنها تحقيق المشاريع الكبرى المبرمجة واستكمال أوراش مهيكلة شرع فيها سابقا على مستوى البنية التحتية والتجهيزات الكبرى، خاصة في الأقاليم الجنوبية كميناء الداخلة، والطريق الرابط بين تزنيت -الداخلة، وبناء محطات تحلية ماء المحيط لرفع تحدي ندرة الموارد المائية. إنما مع ذلك، فإن شبح الجفاف لسنة 2022 كان ينبئ بخطر داهم على البلاد والعباد ، يأتي على الأخضر واليابس، لولا سقوط امطار وثلوج نهاية مارس ابريل ومطلع ماي 2022 ، مما سينقذ المراعي والمزروعات الربيعية من الضياع، وكذا سيرفع نسبيا الموارد المائية ومستوى ملء حقينة السدود إلى أكثر من ثلث طاقتها التي كانت قد بلغتها سابقا؛ ومواجهة الأزمات الدولية، خاصة في ظل الأزمة الأكرانية وتداعياتها على الاقتصاد العالمي.

وعلى المستوى الأمني في هذه الفترة 2020-2022 افشل المغرب وهو يعيش ويجابه انتشار وباء كورونا، عدة مخططات لخصوم الوحدة الترابية، ومنها صرامته في فك تطويق معبر الكركرات من قبل عناصر انفصالية، بفتحه لحرية مرور الشاحنات نحو موريتانيا بكل أمان، في الأراضي العازلة التي كانت تعتبرها «البوليزاريو» «أراضي محررة». وكانت الجزائر تعول على هذه الميلشيات لفرض الأمر الواقع عبر توقيف حركة العبور والتبادل التجاري مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، وخلق مناوشات ومضايقات للمغرب، بهدف العودة إلى اطروحتها المتجاوزة «تقرير مصيرالشعب الصحراوي والاستقلال»، والعودة إلى وضعية ما قبل قرار مجلس الأمن الذي حسم الأمر، وظل متمسكا بالبديل السلمي الذي اقترحه المغرب «الحكم الذاتي للأقاليم الجنوبية في إطار الوحدة الترابية والسيادة المغربية على كل أراضيه من طنجة إلى الكويرة».

لقد تبنت الأمم المتحدة هذه المقاربة المغربية السلمية بدون رجعة، وأعقبه قرار مجلس الأمن عبر تصويت أعضائه على قرار الحكم الذاتي، الذي اعتبروه حلا واقعيا قابلا للتطبيق وذا مصداقية. وقد ورد في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة «أن الحكم الذاتي يبقى هو الحل الوحيد القابل للتطبيق». وقد تمت تزكية هذا العمل الديبلوماسي باعتراف دول الخليج وعدة

دول إفريقية بسيادة المغرب على أقاليمه الجنوبية، وهو ما استنفر حكام الجزائر لمعاكسة المغرب بتبذير أموال بلدهم لاستقطاب دول نامية، للعودة إلى الماضي بدون جدوى. ولعل قطع الجزائر للعلاقات الديبلوماسية مع المغرب ومنعها مرور الطائرات المغربية فوق أجوائها، واتهامها المغرب باغتيال جزائريين على الحدود بين الجزائر وموريطانيا، وقطع إمدادات الغاز عن المغرب، يعكس مدى إحباط حكامها العسكريين، بعد تحرير المغرب سلميا لمعبر الكركرات لمرور الشاحنات والسيارات بدون مضايقات، وبدون خسائر بشرية ، والذي استحسنته الدول المعنية، وكذا الأمين العام للأمم المتحدة والدول العظمي. وبذلك أصبح المغرب قوة إقليمية تدافع عن مصالحها المشروعة، وتطالب بدون تردد، الاعتراف بالسيادة الوطنية على أقاليمها الجنوبية من قبل الاتحاد الأوربي، والسيادة على سواحلها لوضع حد لسياسة اللعب على الحبلين.

خلاصة

من خلال التحليل السابق ، يتبين بأن المغرب في عز أزمة انتشار فيروس كوفيد وتعاقب متحوراته وما نتج عنها من جائحة، فقد استطاع أن يواجه الوباء والجائحة الناجمة عن انتشاره، وكذا تداعيات الحرب الأكرانية. ورغم هذه الإكراهات فقد حقق أوراشا تمثلت في إنجازات داخلية وتنمية ملحوظة بالأقاليم الجنوبية ومتابعة الأوراش القائمة (مشروع ميناء الداخلة، الطريق الرابط بين تزنيت- الداخلة، منصة رقمية أمريكية موجهة نحو بلدان إفريقيا جنوب الصحراء ...) التي اصبحت قطبا اقتصاديا يستقطب استثمارات خارجية (أمريكية، صينية أوروبية، خليجية)، مما أصبح معه قوة إقليمية يحسب له حسابها من طرف الشركاء التقليديين الأوروبيين، ومنها ألمانيا التي راجعت سياستها الغامضة مع المغرب في الإتجاه الإيجابي، واسبانيا التي تستعيد علاقاتها الديبلوماسية الاستراتيجية على أسس متينة باعترافها الصريح بمبادرة المغرب للحكم الذاتي على أقاليمه الجنوبية لأول مرة سنة (مارس 2022). وربما ستحذو حذوها دول أوربية في الاتحاد الأوروبي وفي أمريكا اللاتينية التي استحسنت وأيدت هذه الخطوة الإسبانية باعتبارها كانت محتلة لهذه الأقاليم، وتملك وثائق تعطي الشرعية التاريخية لسيادة المغرب على أراضيه. وهو تحول نوعي لفائدة المغرب ينضاف إلى الاعتراف الأمريكي.

إن الهدف الاستراتيجي من كل هذه الإجراءات والمواقف التي عبر عنها المغرب عبر ملك البلاد في خطبه مفادها أن على الدول التي تريد التعامل مع المغرب أن تتجنب سياسة الغموض بتوضيح مواقف كل طرف على أساس التعامل الشفاف مع المغرب كوحدة ترابية وسيادة وطنية على كل ترابه، من طنجة إلى الكويرة. وبذلك وضع حدا للتناور واللعب على الحبلين

بغرض ترضية أطراف أخرى على حساب المصالح العليا للمغرب. وهو ما تم فعلا، وستستمر وتيرة الاعتراف بسيادة المغرب من باقي دول المعمور بعد موقف الولايات المتحدة وإسبانيا وألمانيا وفرنسا لوضع حد لمشكل مصطنع ، لمدة تقترب من نصف قرن، والذي عرقل معه بناء اتحاد مغاربي قوي. ويبقى المغرب بلدا محايدا إيجابيا يخدم السلم والأمن الاقليمي والدولي، ويستكمل بناء دعائم أمنه القومي الاستراتيجي على كل المستويات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والروحية، ويعزز جبهته الداخلية، ليكون قادرا على الدفاع عن سيادته.

المراجع بالعربية

- كرزازي موسى، 2022، «في أفق بعث حلم إتحاد مغاربي قوي؟، مجلة العلوم السياسية والاجتماعية، الرباط (مجلة رقمية).
- مرزوق عبدالكريم؛ م. كرزازي؛ أ. بوعوينات؛ م. الأسعد (تنسيق)، 2022، تحولات وأشكال تكيف المجالات الريفية بالمغرب، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة الأخوين، الجزء 1 (عربية)، والجزء الثاني (فرنسية). (الكتاب تكريم للأستاذ محمد أيت حمزة، وبمناسبة الذكرى 60 لتأسيس جامعة محمد الخامس).
- كرزازي موسى، 2019، دراسة في التهيئة والتنمية القروية بالمغرب: تريفة بركان بجهة الشرق نموذجا. الرباط. دار النشر حنظلة. مطبعة دار المناهل (500 صفحة).
- منعم امشاوي، 2013، «سؤال الأمن القومي بالمغرب: بين المعطى التاريخي والبعد الجيوسياسي»، المجلد الأول، 2014 ، منشورات مؤسسة خالد الحسن 2013، مركز الدراسات والأبحاث (تم الاطلاع على النسخة الإلكترونية بتاريخ 11 أبريل 2022(file:///C:/Users/fr/Downloads/2160-7355-1-SM.pdf (Fichier
- شادلي المصطفى، غارون وليزة (إشراف)؛ 2005، مراجعات في نظرية صراع الحضارات (ترجمة محمد معتصم)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة ندوات ومناظرات 129 .
- زناسني مورد (تنسيق)، 2018، المغرب في محيطه الإفريقي (المجالات والرهانات الاستراتيجية الجديدة)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس. (راجع في الكتاب: بوتخيلي خديجة، «الرهانات الجيوستراتيجية للمغرب في ظل التنافس الدولي ص.ص.304-287؛ القضاوي خالد، «البعد الأمني في الاستراتيجية المغربية الجديدة تجاه القارة الإفريقية»، ص.ص. 351-331).
- بيتر تيلور، كولن فلنت، 2002، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر: الاقتصاد العالمي، الدولة القومية، المحليات، (ترجمة عبدالسلام رضوان، إسحق عبيد)، عالم المعرفة، الجزء 2، عدد 283.
- أسئلة الحرية ورهاناتها، مجلة الأزمنة الحديثة، العدد 5، صيف 2012.
- زروقي (الميلود)، 2004، الحدود وتنظيم المجال المحلي والجهوي بالمغرب الشرقي، دكتوراه دولة، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، جامعة محمد الأول. جزءان، (غير منشورة).

(الموقع الألكتوني: http://www.sciencepo.ma/2022/01/blog-post.html)

المراجع بالفرنسية

- Grand Atlas 2021 « autrement », (Sous la dir. De Frank Tetart), Quel monde après le COVID-19, Courrier International, Franceinfo.

-IRES, Evolution du positionnement international du Maroc, Tableau de bord stratégique. Neuvième édition, Octobre 2021

-Royaume du Maroc (HCP), Prospectives Maroc 2030, Actes du Forum1 : Environnement, géostratégique et économique, Section 3

- SEDDIKI Abdeslam, 2019, Positions et Propositions (Chroniques des années 2017-2018), Rabat

-Etat du monde 2021. Géopolitique du monde contemporain. Le Monde Politique, 2021.

(Site web. Etat du monde 2021_210214_172119.pdf)–

-Marzouk, M. Kerzazi, M. Bouaouinate, A. (Coord.), (2022), *Changements et formes d'adaptation des espaces ruraux au Maroc*, Editions Université Al Akhawayn. (Tome 1, en arabe ; Tome 2, en français) *(En hommage Au Prof. Ait Hamza Mohamed et à l'occasion du 60ème anniversaire de l'UM5 Rabat).*

- OCP, Policy Center, (2016), Equilibre externes, compétitivité et processus de transformation structurelle de l'économie Marocaine, (Sous la direction de El Abbassi, I. ; Ghazi, T. ; OULHAJ, L. ; Et Ragbi, A.).

-OCP, Policy Center, S.dir. SAAF, A. (2018), Mutations politiques comparées au Maghreb et au Machrek, 7 ans après le printemps arabe

-Aboul El Farah, Y. et Azizi, F.Z (IEA)- Kerzazi, M. & Chiguer, M. (CERAB) (Coordinateurs), 2018, L'Afrique, un continent en devenir, Pub. IEA, UM5, Rabat, CERAB.

-BENMESSOUD TREDANO, A. et al; Revue Marocaine des Sciences Politiques et Sociales (MSPS).

-Chiguer Mohammed, 2019, Modèle de développement et expérience marocaine, CERAB, Collection : Cahiers du CERAB, Ed. Handala.

-Philippe Descamps, « Remède à l'incertitude », Editorial : « Le Monde diplomatique, Manière de voir », n°179, Bimestriel, Octobre-Novembre 2021 .

-OCP, Policy Center, (2018), Le partenariat Afrique-Europe en quête de sens, Editeurs : Jaidi, L. et Ivan Marin.

-Sahara Marocain, le dossier d'un conflit artificiel, 2016, (Sous la direction de Charles Saint-Prot, Jean-Yves de Cara, Christophe Boutin), Edition Marsam Rabat ;et les Editions du Cerf, 2016 (Paris)

-Youthinkgreen, 2015, Kellner/Verlag, Bremen,شجرة الأمل، كيف نغير العالم (دليل للتفكير عالميا والتأثير محليا)